

شرح
القصيدة الهائية في الزهد والترغيب والترهيب

للإمام الشيخ

حافظ حكيم

- رحمه الله -

لفضيلة الشيخ:
أ.د سليمان الرحيلي



(المجلس الأول)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما
بعد؛

فمرحبًا بأحبتني في الله، مرحبًا بطلاب العلم؛ إن طالب العلم تحفه الملائكة
بأجنتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا؛ من محبتهم لما يطلب.
معاشر الفضلاء، نبدأ دروسنا في مسجد نبينا **صلى الله عليه وسلم** للعام
الدراسي ثمانية وأربعين بعد الأربعمائة والألف من الهجرة، وسيكون جدولنا في
الدروس ابتداءً من الأسبوع القادم إن شاء الله عز وجل: بعد عصر الأربعاء
نواصل شرح كتاب **(صحيح الترغيب والترهيب)**، وبعد عصر الخميس والجمعة
والسبت نواصل شرح كتاب **(دليل الطالب لنيل المطالب)**، وفي فجر السبت نبدأ
بالشرح الثاني لكتاب **(التوحيد)** لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عز
وجل وسائر علماء المسلمين.

وقد رأيت أن نفتح دروسنا لهذا العام بثلاثة مجالس تبدأ اليوم ثم غدًا ثم عصر
السبت، في شرح **(القصيدة الهائية)** للشيخ العلامة حافظ حكيمي رحمه الله عز
وجل وسائر علماء المسلمين.

وهذه القصيدة سهلة في ألفاظها، عظيمة النفع في محتواها، طيبة جداً في قصدها؛ فمحتواها في بيان حال الدنيا، وأقسام الناس في النظر إليها وإرادتها، وبيان مآل كل قسم في الآخرة، وما له عند الله عز وجل.

وأما مقصودها فهو دفع الاغترار بالدنيا المؤدي إلى الالتئام بها عن الآخرة، ورفع الهمّة في طلب الآخرة؛ وما أحوجنا في هذا الزمان الذي تفجرت فيه الشهوات الدنيوية الملهية، والشبهات الغوية المضلة، وصارت قريبة من الناس، إلى مثل هذا الموضوع وإلى مثل هذا القصد؛ ما أحوجنا إلى أمور تدفع عنا الاغترار بالدنيا وترفع هممنا لطلب الآخرة!

فنشرع في المقصود، ويتفضل الابن فايز - وفقه الله والسامعين - يقرأ لنا أبيات هذه القصيدة النافعة ونعلق عليها إن شاء الله عز وجل.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين
والمسلمات، أما بعد؛

يقول المؤلف رحمه الله:

❁ ومالي وللدنيا وليست ببغيتي ولا منتهى قصدي ولست أنا لها

(الشرح)

نعم، بدأ الناظم رحمه الله عز وجل القصيدة بهذه الجملة التي هي من كلام

النبي **صلى الله عليه وسلم**، ويشير بذلك إلى أمرين عظيمين:

أما الأول: فهو أن هذه القصيدة وعظية سنية أثرية مبنية على أدلة الكتاب والسنة وضرب الأمثال الصادقة، وذلك أن أكثر الوعظ بين الناس لا يكون على هذه الجادة المستقيمة؛ فأراد الشيخ رحمه الله أن ينبهنا إلى أن هذه القصيدة الوعظية سنية أثرية.

والأمر الثاني: أشار الشيخ إلى أن الحالة الممدوحة في هذه القصيدة هي حال النبي **صلى الله عليه وسلم**، وأن الحالة المقابلة لها مخالفة لحال النبي **صلى الله عليه وسلم**؛ فالحالة الممدوحة في هذه القصيدة هي حال النبي **صلى الله عليه وسلم** في النظر إلى الدنيا والاستعداد فيها للآخرة، والحال التي تقابلها - عيادًا بالله منها - حال مخالفة لحال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقتدي به المؤمن الموفق في جميع أحواله؛ فالنجاة من كل كربة في الدنيا والآخرة تكون بالاقتداء بالنبي **صلى الله عليه وسلم**، ومن أراد طيب الحياة في الدنيا والمفاز في الآخرة فعليه أن يجعل النبي **صلى الله عليه وسلم** أسوة له؛

❁ قال الله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

فينبغي لك وأنت تقرأ هذه القصيدة أن تتنبه لهذين الأمرين العظيمين.

"مالي وللدنيا"؛

❁ قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»

رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه، وصححه الألباني أيضًا،
رحم الله الجميع.

وعند ابن حبان؛

❁ قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا لِلدُّنْيَا وَلِي؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»
قال الألباني: حسن صحيح.

ومعنى "مالي وللدنيا" أنه ليس لي حب للدنيا يعلقني بها وينسيني ما أمامي
بعد مماتي؛ مالي وللدنيا ليس لي حب للدنيا يعلقني بها وينسيني ما أمامي في الدار
الأخرى.

ولا يكون ذلك حقيقة إلا لمن عرف قدر الدنيا ووزنها بالميزان الصحيح،
وأيقن أنها مهما طالت أيامها فإنها قصيرة سريعة، ومهما طابت فإنها زائلة، وأن كل
ما فيها يمر؛ حلوها يمر، ومرها يمر، ولا تستقر على حال. وعرف وأيقن أنه منذ
ولد وهو يسير إلى الآخرة، وكما خرج إليها -أي إلى الدنيا- من ظلمة الرحم

سيفارقها إلى ظلمة القبر، وهو في هذه الدنيا بين الظلمتين، ولن يضاء القبر له إلا إذا كان قد عرف قدر الدنيا ولم يؤثرها على الآخرة.

"ما لي وللدنيا؟" الدنيا هي الدار السابقة للأخرى، وسميت دنيا؛ قيل: من **(الدنو)** وهو القرب لكونها القريبة السابقة، والآخرة هي اللاحقة.

وقيل: إنها سميت دنيا من **(الدناوة)**، فهي دنيئة إن خلت مما يقرب إلى الله وينفع في الدار الآخرة.

وقيل: سميت دنيا من **(الدون)**، لكونها لا تساوي في الآخرة شيئاً، فسميت دنيا من الدون.

ولا مانع من الثلاثة، فهي سميت دنيا لهذه الأمور الثلاثة: لقربها لكونها سابقة، ولحقارتها إن خلت مما يرضي الله عز وجل، ولكونها أدون منزلة من الآخرة بل لا تساوي في الآخرة شيئاً.

"مالي وللدنيا وليست ببغيتي"؛ ليست الدنيا مطلبي ولا حاجتي التي أطلبها وأسعى للوصول طيلة حياتي إلى ملاذها وأبحث عنها، وإنما أعمرها لتعينني على عمارة الآخرة، وأحصل منها ما تقوم به حياتي لأعبد الله عز وجل، ولأستعمل منها ما يقربني إلى الله عز وجل.

الدنيا بذاتها ليست مطلبي؛ لا أحبها، لا أسعى جاهداً للوصول إليها، وإنما أعمرها لأستعين بذلك على عمارة الآخرة، وأحصل منها المباح لأستغني به،

ولأنفق منه في سبيل الله عز وجل.

"ولا منتهى قصدي ولست أنا لها؛ لا منتهى قصدي، ليست الدنيا غاية مطلبي، وليس لها توجهي بحيث تكون كل مقصودي أو جل مقصودي؛ ليس توجهي إلى الدنيا وليست الدنيا غاية مطلبي بحيث تكون كل مقصودي أو جل مقصودي.

"ولست أنا لها؛ كما ورد في رواية ابن حبان: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا لِلدُّنْيَا وَلِي»، فلست أنا للدنيا فما خلقت لأخلد فيها ولا لأوي بها، وإنما خلقت لأعبد الله فيها وأتزود منها للآخرة؛

❁ قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وإني على يقين؛ هذا الناظم الموفق يقول: إني على يقين أن كل ما في الدنيا متاع زائل؛ فما حصل منه بالحلال أحصله وأنفق منه في سبيل الله سبحانه وتعالى، ولا ألهو به ولا أقدمه على ما عند الله سبحانه وتعالى؛

❁ قال تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وْخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]

❁ وقال تعالى:

﴿وَمَا أُرِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص: ٦٠]

هذا معنى ما في هذا البيت، وهو معنى متين ينبغي أن يعتني به كل مؤمن ومؤمنه.

(المتن)

قال رحمه الله:

﴿ولست بميال إليها ولا إلى رئاساتها نتنا وقبحا لحالها﴾

(الشرح)

نعم، أي لمعرفتي بقدر الدنيا وتقلب أحوالها لا تغرني، فلا تغرني زخارفها، ولا أطلب ملذاتها ولا رئاساتها ولا مقاماتها عند الناس، وإنما أطلب منها ما يقربني إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن كان على هذه حال التي ذكرها الناظم رحمه الله، فإنه يتمتع بالمباح في الدنيا ولا يلهو به عن الآخرة، ولا يغرق فيه، وحتى مع وجوده ينوي فيه نية حسنة ليثاب من الله سبحانه وتعالى، ويدرك أنه في هذه الدنيا في سباق، من لم يسارع سيندم؛ ليست القضية مشيًّا، وإنما القضية مسارعة.

والله، من لم يسارع في هذه الدنيا إلى ما يرضي الله سيندم ولا بد؛

﴿يقول الله عز وجل:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

كيف تكون المسارعة؟

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

۞ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

فهم يتقون الله ويحسنون إلى خلق الله. في ماذا نسارع في الدنيا؟ نسارع في تقوى الله، ونسارع في الإحسان إلى خلق الله سبحانه وتعالى؛

﴿وقال الله عز وجل:

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ

لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ﴾ [الحديد: ٢١]

ومع حرصه ومسابقته ومسارعته، لا يغير بعمله ولا يقول قد فعلت ما علي، بل هو في وجل وخوف أن تنقضي الأيام ولما يقبل الله منه عملاً، يخاف أن تسرع به الدنيا إلى قبره ولما يتقبل الله منه عملاً؛ ولذلك ما إن ينتهي من خير حتى يدخل في خير، يخاف أن الخير السابق لم يقبل، فينتظم في خير لعله أن يكرم بأن يتقبل الله عز وجل منه؛

﴿قال الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ

يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَٰذَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠ - ٦١]

خوفهم ووجلهم من ألا يتقبل الله منهم يجعلهم لا يتوقفون في طريق الخير، بل يسارعون في الخيرات ويسابقون إليها ما بقيت الروح في الجسد.

أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، وقالت: يا رسول الله، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: ﴿

لَا يَا ابْنَةَ الصَّادِقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُمْ﴾

رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. هكذا ينبغي أن يكون المؤمن الذي أدرك حقيقة الدنيا، وكان على هذه الحال العظيمة التي ذكرها الناظم الناصح رحمه الله عز وجل.

(المتن)

قال رحمه الله:

﴿هي الدار دار الهم والغم والعنى سريع تقضيها قريب زوالها
﴿مياسيرها عسر وحزن سرورها وأرباحها خسر ونقص كمالها
﴿إذا أضحكت أبكت وإن رام وصلها غبي فيا سرع انقطاع وصالها

(الشرح)

نعم، هنا شرع الناظم رحمه الله عز وجل في بيان السبب لما تقدم؛ لماذا كان حاله مع الدنيا الحالة التي ذكرها؟

السبب أن هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار نعيم، ودار ممر لا دار مستقر، وأن الله خلقها متقلبة الأحوال؛ فليس فيها نعيم دائم ولا شقاء دائم.

ولو لم يكن فيها من المنغصات إلا أن الإنسان يدرك يقيناً أنه سيموت يوماً
ويترك هذه الدنيا وينتقل عن كل هذا وسيفقد كل هذا، لكان كافياً ليكون منغصاً
لهذه الدنيا.

هذه الدنيا لا اطمئنان لها ولا أمان فيها إلا بالتوحيد والعمل الصالح؛ والله
من لم يكن موحدًا لن يكون مطمئنًا آمنًا في الدنيا، ومن لم يعبد الله في هذه الدنيا فلا
اطمئنان له ولا استقرار لقلبه ولا أمان له.

هذه الدار خلقت للابتلاء؛ هل يصبر الإنسان فيها أم يجزع ويتسخط؟ وهل
يشكر أم يكفر؟

❁ قال الله عز وجل:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ﴾ [الملك: ٢]

خلق الدنيا وجعلها متقلبة، فيها حياة وفيها موت، وهكذا الأضداد فيها، لما؟
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً؛
❁ وقال سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ﴾ [هود: ٧]

❁ وقال الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥].

❁ وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

رواه مسلم في الصحيح.

إذا يا إخوة، لا بد في الدنيا من نعيم وضراء؛ يتلى الإنسان بالنعيم هل يشكر أو لا؟ ويتلى بالضراء هل يصبر أو لا؟

بل هذه الدنيا يا أحبة لا يوجد فيها في الغالب نعيم خالص في ذاته، ولا شقاء خالص في ذاته؛ ليس فيها نعيم خالص في ذاته إلا التوحيد والعمل الصالح يعمل به المخلص، وليس فيها شقاء خالص في ذاته إلا الشرك والسحر وما أشبههما. وإلا فالغالب عليها أن الشيء وإن تنعم به الإنسان لا بد فيه من تعب، وأن المتعب وإن أتعب الإنسان لا بد فيه من شيء من اللذة؛ الأكل نعيم، لكن لا بد أن يتعب الإنسان في تحصيله، ولا بد من أن يتعب في إعداده، ويتعب عند أكله، ويتعب عند إخراجه، وهكذا أمور الدنيا.

لا بد فيها من هم وقلق وخوف يتعلق بالمستقبل، وغم وتفكير وضيق وألم يتعلق بالمؤلمات الحاضرة، وحزن على مؤلمات ماضية أو مأمولات فائتة.

لعلك أدركتم الفرق بين **(الهم)** و**(الغم)** و**(الحزن)**:

• **الهم**: يتعلق بالمستقبل؛ ضيق وتفكير وخوف من المستقبل.

• **الغم**: ضيق وألم يتعلق بمؤلمات حادثة موجودة حاضرة.

• **الحزن:** يتعلق بمؤلمات ماضية أو مأمولات فائتة؛ مؤلم حصل

للإنسان كموت ابن أو حبيب أو قريب، أو مأمول فات على الإنسان كالالتحاق بجامعة أو نحو هذا.

لا بد في الدنيا من هذا وهذا، وحتى لو فرضنا أن الإنسان في الدنيا في نعيم خالص - وهذا فرض محال لا يمكن أن يكون، والله لا يوجد رجل أو أنثى في الدنيا في نعيم خالص، ولذلك تجدون بعض كبار الأثرياء في الدنيا يتعاطون المخدرات فرارًا من مؤلمات منغصات، وقد يموتون ميتة قبيحة كما تسمعون في أخبار المشاهير -

لكن لو فرضنا جدلاً - وهذا من باب فرض المحال - أن هناك من يعيش في نعيم خالص في الدنيا، فإنه ينغصه الخوف من ذهابه أو نقصانه، أو ينغصه وقوع ذلك بالفعل فينقص أو يذهب عنه، كما ينغصه الخوف من الموت الذي لا يدري الإنسان مواعده، مع علم الإنسان بسرعة جريان الأيام وانقضاء الدنيا.

وإن وجد في هذه الدنيا يسر فالعسر قريب؛ وإن وجد فيها فرح فالحزن ليس ببعيد، وإن وجد فيها ربح فالخسران لاحق، وإن وجد فيها كمال بحسب فهم الإنسان فالنقص واقع ولا بد.

وإذا ضحك فيها الإنسان فالبكاء منتظر؛ يضحك الإنسان بمولود يولد له، ويبكي لموت قريب أو حبيب يفقده.

وإن رام غبي لا يرى هذه الوقائع ولا يدرك هذه الحقائق وصل الدنيا وهنائها

وظن أن السعادة كلها فيها، فما أسرع أن يستيقظ من أحلامه!
 ما أسرع أن يستيقظ من أحلامه على آلامه؛ فقد يكون في غاية القوة والعافية
 ثم فجأة يصاب بمرض عضال يعجزه ويضعفه وقد يقتله، بينما هو يستطيع أن يأكل
 كل شيء وعنده من المأكولات الكثير فجأة لا يستطيع أن يأكل إلا القليل.
 ولو فرضنا أنه حصل في الدنيا كل نعيم على وجه الكمال الدنيوي، فإنه لن
 يبقى قوياً، بل سيضعف جسده ولا بد، وتبدأ نفسه تعاف هذا المتاع ثم يموت،
 وقد يموت وهو شاب؛ فهذه الدنيا متاع زائل لا يروم وصاها عاقل، وإنما يروم
 وصاها الأغبياء الذين لا يعرفون حقيقتها، ولا يعرفون مصلحتهم التي بينها لهم
 ربهم ورسولهم **صلى الله عليه وسلم**.

(المتن)

قال رحمه الله:

❁ **فأسأل ربي أن يحول بحوله وقوته بيني وبين اغتيالها**

(الشرح)

نعم، لما ذكر الناظم الدنيا وتقلبها وسرعة زوالها وزوال ما فيها ودناءتها
 ودناءة ما فيها إلا ما يقرب إلى الله عز وجل، أشار إلى أنه لا سلامة منها إلا بحول
 الله وقوته وعونه سبحانه وتعالى؛ فلا ينجو من الاغترار بها إلا من أعانه الله وبصره
 بها، وأنها دار ممر لا دار مقر، فهي دار غرارة بزخارفها وشهواتها، والشيطان يزينها
 للإنسان ليغره بها؛

﴿ كما قال ربنا :

﴿فَلَا تَعْرِتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]

أقول: لما كان ذلك كذلك، دعا الناظم ربه دعوة عظيمة شريفة، ودعاؤه هذا متضمن دعوته المؤمنين والمؤمنات إلى أن يستعيذوا بالله من فتنة المحيا ومن اغتيال الدنيا لهم.

الناظم سأل الله ربه الذي خلقه ورباه بالنعم أن يحول بحوله وقوته بينه وبين أن تأخذه الدنيا وهو لا يشعر فتهلكه بأن تلهيه عن آخرته.

وقول الناظم: "وبين اغتيالها"؛ الاغتيال هو الذهاب بالشيء بسرعة وإهلاكه، يقال اغتال الشيء إذا ذهب به بسرعة.

وأصل الاغتيال أن يؤتى الإنسان من حيث لا يشعر؛ فما أجمل اختيار هذه الكلمة هنا! فإن الدنيا والله قد تغتال الإنسان؛ تأخذه من حيث لا يشعر وتأخذه بسرعة لشدة شهواتها وزخارفها، وقد تقوده إلى ما يرديه والعياذ بالله.

(المتن)

قال رحمه الله:

﴿ فيا طالب الدنيا الدنيئة جاهداً ألا اطلب سواها إنها لا وفا لها

﴿ فكم قد رأينا من حريصٍ ومشفقٍ عليها فلم يظفر بها أن ينالها

(الشرح)

نعم، يخاطب الناظم رحمه الله عز وجل من جعل الدنيا مطلبه ولذاتها بغيته

ناصحًا ومبينًا ومذكرًا بقدرها وحقيقتها وما فيها، وناصحًا له بأن يستفيق من غفلته ويصحح بوصلته بأن يترك هذا الطريق الذي قد سلكه ويطلب وغير الدنيا هو الآخرة، فليس ثمة إلا الدنيا والآخرة.

فإن الدنيا مهما اجتهد الإنسان في طلبها وحرص عليها لا يحصل منها إلا شيئًا سيرًا إن أراد الله ذلك، ومع ذلك فإن ما يحصله منها لا بد أن يرتحل عنه أو يرتحل هو عنه؛ إما أن يفنيه، وإما أن يبليه، وإما أن يموت عنه. هذا الذي في الدنيا؛ إما أن يفنيه صاحبه، وإما أن يبليه، وإما أن يموت هو عنه، ثم يعقب ذلك السؤال عن النعيم يوم القيامة؛

❁ قال الله عز وجل:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿[الإسراء: ١٨ - ١٩]

فمن أراد الدنيا وطلبها وجعلها غايته، لم يعطه الله كل بغيته بل يعطيه منها ما يشاء، ثم يسأله يوم القيامة عنها ويعاقبه؛ فلا حصل كل ما طلب، ولا انتفع بما حصل انتفاعًا حقيقيًا، ولا سلم من الحساب والعقاب، وذاك هو الخسران والله العظيم؛

❁ وقال سبحانه:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ

مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿الشورى: ٢٠﴾

فمن كان يريد حرث الدنيا؛ يريد المتعة والسعة في الدنيا ولها بذلك عن الآخرة، فليس له من الدنيا إلا ما كتب الله له، مع ما يجعله الله له في الدنيا من ضيق الصدر والاشتغال بالدنيا والتعب.

ومن كان يريد الآخرة لم يحرمه الله من نصيبه من الدنيا، ورزقه طيب الحياة مع عظيم الثواب في الآخرة؛

﴿قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ»، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني.

فالموفق من نظر في قصده وسعيه في هذه الدنيا؛ فإن كان قصده الأخرى وسعيه لها ولم ينس نصيبه من الدنيا، فليحمد الله وليسأل الله عز وجل الثبات، وإن كان قصده الدنيا وسعيه لها فليرجع عن هذا الخسران قبل الممات.

وليس عيباً أن يطلب المسلم الدنيا ليعف نفسه ومن يمون، وليترك ورثته أغنياء، ولينفق منها لله دون أن تلهيه عن الآخرة.

لكن العيب والخطر العظيم والعاقبة الوخيمة الذميمة أن يطلب الإنسان الدنيا ويلهو بها عن الآخرة، أو أن يقدمها على الآخرة، أو يطلب الدنيا بما لا تطلب به إلا

الآخرة؛ كأن يطلب الدنيا بدينه أو بالعلم الشرعي، فهذا خسران مبین.

❁ قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةٍ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُرْزَقْ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيِّ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بَيْنَهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُرْزَقْ عِلْمًا فَهُوَ يَخْطِئُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يُرْزَقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بَيْنَهُمَا سَوَاءٌ»
رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

❁ وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسَدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسَدَّ فَقْرَكَ»
رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

"تفرغ لعبادتي" يعني لا تلهك الدنيا عن عبادتي؛ فإن كانت الآخرة بغيتك ولم تله بالدنيا عن الآخرة، كان الشأن أني أملأ صدرك غنى، فغنالك في قلبك، وأسد فقرك؛ أعطيك ما يكفيك ولكنك في قلبك أنت الغني، ترى نفسك الغني وإلا تفعل اشتغلت بالدنيا عن العبادة، ملأت يديك شغلاً -والشغل متعب- ولم أسد

ففرق، كل هذا تدل عليه هذه الآيات العظيمة النافعة التي ذكرها الناظم رحمه الله عز وجل.

(المتن)

قال رحمه الله:

❁ لقد جاء في آي الحديد ويونس وفي الكهف إيضاح بضرب مثالها
❁ وفي آل عمران وسورة فاطر وفي غافر قد جاء تبيان حالها
❁ وفي سورة الأحقاف أعظم واعظٍ وكم من حديث موجب لاعتزالها

(الشرح)

نعم، ربنا سبحانه الذي خلقنا وخلق الدنيا بيّن لنا حقيقتها وتقلبها وسرعة زوالها، وضرب لنا في ذلك الأمثال، والمؤمن يعلم أنه الحق من ربه ويعتبر بذلك ويتعظ، وتنكشف له حقيقة الدنيا، ويسير فيها إلى ربه بما يسره عند لقاء ربه سبحانه وتعالى.

ففي (سورة الحديد)؛

❁ قال ربنا سبحانه:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا
وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ

الْعُرُورُ ﴿الحديد: ٢٠﴾

فالله يأمرنا جميعاً أن نعلم ونتيقن أن حقيقة الدنيا التي يحرص عليها
المغرورون بها ليست إلا لعب ولهو وزينة وتفاخر بين أهلها.

وكل هذا مهما زها في نظر أهله فإنه ذاهب؛ فما مثل هذه الدنيا وسعي الإنسان
لها فيها إلا كمطر أنزله الله عز وجل على الأرض فأخرج نبات الأرض، فيخرج
ضعيفاً ثم يشتد ثم يقوى فيعجب الزراع مرآه في قوته، ثم يكون مآله أن يصفر بعد
ما كان خضراً، وأن يصير يابساً متحطماً.

وهذا حال الإنسان في الدنيا وحال الدنيا؛ حال الإنسان في الدنيا إن أكمل
دورته فيها: يولد ضعيفاً، ثم يقوى شيئاً فشيئاً حتى يستوي ويصير قوياً، ثم يبدأ
بالضعف حتى يصير إلى شبيهة، ثم يصير إلى عجز، كأنه صار يابساً متكسراً ثم
يموت، هذا إن أكمل دورته في الدنيا.

وهكذا الدنيا كذلك والله متقلبة؛ بينما هي تعجبك إذا هي تتعبك، بينما أنت
في راحة إذا بالتعب يأتي، ولكن الشأن كله في الآخرة؛ فالآخرة إما عذاب شديد
وإما مغفرة من الله ورضوان، وذلك مبني على فعل الإنسان في الدنيا، وذلك هو
الباقى.

أما الدنيا فما هي إلا متاع الغرور، والمتاع زائل؛ فهي متاع زائل يغر الجاهول ثم
لا يحصل منه شيئاً، وما يحصله منه إما أن يفنى فيكون تاركاً، وإما أن يبقى ويموت
صاحبه فيكون متروكاً.

والدنيا كلها قليلة سريعة الزوال، ومهما حصل الإنسان من نعيم الدنيا فإنه لا

يساوي غمسة واحدة في النار؛ مهما حصل من نعيم الدنيا هذا النعيم كله في الدنيا لا يساوي غمسة واحدة في النار والعياذ بالله.

✽ يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ»

وفي (سورة يونس)؛

✽ قال ربنا سبحانه:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

هذا مثل المثل السابق.

وفي (سورة الكهف)؛

✽ قال ربنا سبحانه:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:

٤٥]، وهذا مثل سابقه، فضرب الله لنا الأمثال الصادقة للدنيا.

وفي (سورة آل عمران)؛

❁ قال تعالى:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

أي إن حقيقة الدنيا ما هي إلا متاع زائل؛ فالعاقل ينتفع به ولا يركن إليه،
فالعاقل ينتفع به ولا يركن إليه ولا يلهو به عما خلق من أجله.
والغبي هو الذي يغتر بها ويتعلق بها ويلهو بها حتى يأتيه الموت ثم يكون
العذاب؛

❁ كما قال الله عز وجل:

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧]

وفي (سورة فاطر)؛

❁ قال ربنا سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥]

يخاطب الله الناس أجمعين أن الموت واصل لهم كما يعلمون، لا يستطيع أحد
أن يدفعه عن نفسه أو عن حبيب، بل قد يعالج الناس من مرض يموت به.
وقبل يومين قرأت أن طبيبة تعمل جراحة قلب، أجرت عملية قلب لمريض
لمدة ست ساعات ونجحت العملية، وسقطت الطبيبة في غرفة العمليات بسكتة
قلبية؛ القوة لله سبحانه وتعالى.

وكما أن الموت حق، فإن وعد الله بالبعث والجزاء حق لا محالة؛ دلت عليه

الآيات الشرعية والكونية، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فتلهيكم عن الآخرة بزهرتها
الفانية وزخارفها البالية، ولا يغرنكم الشيطان بتزيين الدنيا لكم.

وفي (سورة غافر)؛

❁ قال ربنا:

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٨ - ٣٩]

ففي هذه الآيات بيان حقيقة الدنيا، وأنها ما هي إلا متاع زائل، وأما المقام فإنما
هو في الآخرة.

وقال الله عز وجل في (سورة الأحقاف):

❁ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]

ومثل هذه الآية في (سورة يونس)؛

❁ قال ربنا:

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾

[يونس: ٤٥]

فالكفار الذين غرتهم الدنيا وجعلوها غاية مطلبهم، إذا حشروا يوم القيامة
كأنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة؛ أي إلا مقداراً يسيراً من الزمن، وكأنهم ما مر
عليهم نعيم قط؛ فلا يحزنك ولا يغرك تمتعهم بالقليل الزائل، فإنهم صائرون إلى

العذاب الويل الهائل، وفي هذا أكبر واعظ للإنسان.

فمهما عاش في الدنيا فإن الدنيا سريعة الزوال، والدنيا بالنسبة للآخرة ما هي إلا زمن يسير لا يعد شيئاً؛ فالعاقل من صابر نفسه عن هذا الشيء اليسير، وأصبر نفسه فيها على ما يرضي الله لينال النعيم المقيم، والغبي من أتبع نفسه شهواتها وهوى بها عن الأخرى ليكون الجحيم مأواه والعياذ بالله.

ثم أشار الناظم رحمه الله إلى أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** -الذي لا ينطق عن الهوى، وهو أشرف من عاش في الدنيا وسيد ولد آدم أجمعين، وهو الناصح الواضح المبين الأمين **صلى الله عليه وسلم** - قد بين لنا حقيقة الدنيا وكيف نكون فيها في أحاديث كثيرة، منها ما جاء عن أبي سعيد الخدري **رضي الله عنه** قال: جلس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على المنبر وجلسنا حوله؛

❖ فقال:

«إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيْتَتِهَا»،

متفق عليه.

وفي رواية عند أحمد:

❖ «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَزَيْتَتِهَا»

«إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا» أخاف أن

يلهيكم وأن يطغيكم، وفي هذا الخسران المبين.

وعن أبي سعيد **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال:

﴿إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوَّةٌ خَصِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ﴾

رواه مسلم.

"إن الدنيا حلوة خضرة" أي لذيدة في ملذاتها، حسنة في مرآها، ولذلك هي غرارة؛ فيها لذة عاجلة وفيها نظرة تغر.

"وإن الله مستخلفكم فيها" أي إن الله جاعلكم خلفاء لقوم آخرين ومعطيكم منها، "فينظر كيف تعملون" أي أنه ابتلاء.

"فاتقوا الدنيا" لا تفتنوا بها ولا تلهوا بها عن الآخرة.

"واتقوا النساء"؛ اتقوا النساء أي اتقوا الشهوات المحرمة، وهذا ضرب مثال بأعلى الشهوات؛ أعلى الشهوات المحرمة الشهوات المتعلقة بالنساء، فاتقوا الشهوات المحرمة في الدنيا لا تغوينكم لذة عاجلة تحصل بهذه الشهوات.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وعن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت؛ النبي صلى الله عليه وسلم جاء من العالية ومعه أصحابه يحيطون به، فمر بجدي وهو الذكر من الماعز أسك.

أسك قال بعض العلماء: أي مقطوع الأذن، وقال بعض العلماء: صغير الأذنين بخلاف المعتاد، ميت؛ فتناوله النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذنه -وهذا يدل على أن الصواب أنه صغير الأذنين لأنه لو كان مقطوع الأذنين ما كان له أذن، فأخذ

بأذنه-

❁ ثم قال:

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدَرِّهِمْ؟»

من يشتري هذا الجدي الأسك الميت بدرهم؟

فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟

❁ قال:

«أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟»

قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه لأنه أسك - لو كان حيًّا لما رغبنا فيه لأنه

معيب - فكيف وهو ميت؟

❁ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»

رواه مسلم.

فوالله للدنيا أحقر عند الله من هذا عليكم.

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على

سخلة ميتة ومعه أصحابه؛

❁ فقال:

«أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ الْقَوَّهَا؟»

فقالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله.

قال: ﴿

فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا﴾

رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

ومن عرف هذه الحقيقة وهو مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا

شك لا يكون مؤمناً إلا إذا كان مصدقاً - ينبغي ألا تلهيه الدنيا.

ولذلك جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال:

﴿كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ﴾

رواه البخاري في الصحيح.

وهذا الخطاب لابن عمر ولكل مؤمن؛ هذا الخطاب لابن عمر رضي الله عنهما

ولكل مؤمن: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل. ولا شك أن الغريب أو

عابر السبيل لا يأخذ من الدنيا إلا ما يحتاجه أو يريده في خير ومصلحة.

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن عارفاً بحقيقة الدنيا، عاملاً فيها بمقتضى ذلك،

سائراً إلى الله عز وجل فيها بما يرضيه؛ حريصاً على ذكر الله، حريصاً على عبادة

الله، حريصاً على الأعمال الصالحة، حريصاً على طلب العلم وعلى التعليم في توحيد

وإخلاص لله سبحانه وتعالى.

هنا يكون الشيخ قد فرغ من مراده في بيان حقيقة الدنيا، ثم سيشرع في بيان

أقسام الناس في نظرهم إلى الدنيا وأحوالهم في الدنيا، ثم يذكر المال لكل قسم، وهذا سيكون موضوع مجلسنا ليوم الغد إن شاء الله عز وجل بعد العصر، فنقف عند هذه النقطة، وإن كان ثمة أسئلة نجيب عن شيء منها.

(الأسئلة)

السؤال: يقول: هل حب المأكّل اللذيذ والملبس الجميل والبيت الواسع والمركب الجيد وغير ذلك من المباحات تدخل في الحب المذموم؟

الجواب: قلت -ويبدو أن السائل أرسل قبل أن أقول-: ليس عيباً أن يطلب الإنسان مباحات الدنيا ليعف نفسه، وليسعد نفسه، ويعف من يمول، وليترك ورثته أغنياء، ولينفق منها في سبيل الله، لكن العيب أن يلهو بالدنيا، مع أن التقلل من الدنيا هو خير فعل للإنسان.

نبينا **صلى الله عليه وسلم** يا إخوة مات ولم يشبع من خبز الشعير - الذي هو أجود أنواع الخبز مات النبي **صلى الله عليه وسلم** ولم يشبع منه-.

وقد أفلح من أسلم ورزقه الله كفافاً وقنّعه بما آتاه؛ هذه طلبه الإنسان. فإن وسع الله عليه فلا بأس، لكن لا يلهه ذلك عن الآخرة ويجعل لذلك نية حسنة ليثاب على ذلك.

السؤال: يقول: كيف يسلم طالب العلم من فتنة التجارة إذا كان يسعى لتحصيل رزقه والتعفف عن السؤال؟

الجواب: التجارة ليست فتنة؛ التجارة من حيث هي باب عظيم من أبواب الرزق، ولكن يبتلى الإنسان فيها هل يسير فيها بما يرضي الله أو يبحث عن المال ولو بما يغضب الله؟ أيضًا هل يلهو بها عن المقصود أو لا؟ وإلا فبعض العلماء كانوا تجارًا ولم يلههم ذلك عن العلم؛ لا بذلاً ولا تحصيلًا. ولكن القضية أن يكون طالب العلم طارداً للعالم كطارذ الصيد؛ ليس أمامه إلا هذا الصيد يجري وراءه ولا يدري إلى أين ينتهي ومتى يصيده.

أما أن يسعى طالب العلم بالحلل لإعفاف نفسه وتحصيل ما يقويه في دنياه من الدنيا من غير أن يطغى ذلك على المقصود، فهذا شيء محمود وليس مذموماً.

السؤال: يقول: رجل نصراني أجرى عملية تحول من ذكر لأنثى ثم أسلم بعد ذلك، كيف يعامل بعد إسلامه؟ وهل يجوز له الزواج؟

الجواب:

عمليات التحويل على قسمين:

• **القسم الأول:** أن يكون الظاهر شيئاً والحقيقة شيئاً آخر؛ فيظهر في مولود أنه ذكر ولكن حقيقته أنه أنثى؛ فأعضاؤه الداخلية أعضاء أنثى، ويعرف هذا بتحليل يجريها الأطباء وأشعة، وقد يحتاج أحياناً إلى فتح البطن لمعرفة هذا، فهذا التحويل علاج لا بأس به لأنه رد إلى الحقيقة وإزالة للتشوه الظاهري.

فهذا إذا ثبت بالطريق الصحيح والأطباء الموثوقين فهذه العملية علاج ويصبح الإنسان الجنس الذي صار إليه، وأنا وقفت على هذا مع الأطباء ورأيت هذا في لجنة كانت موجودة تعالج هذه الأمور، وطلبوا مني أن أشارك معهم مرتين في مثل هذا لأعطي الرأي الشرعي في الحالة.

• **والحالة الثانية يا إخوة:** أن يكون الظاهر هو الحقيقة، ولكن

هذا الإنسان يعتدي على نفسه ليحول إلى حقيقة أخرى؛ فتقطع الأعضاء ويعطى هرمونات تحوله، فهذا باقٍ على الأصل.

باقٍ على الأصل؛ إن كان ذكرًا حوّل إلى أنثى فهو ذكر -يعني من جهة الأحكام الأصلية- وإن كانت أنثى حوّلت إلى ذكر فهي أنثى.

ومع ذلك نقول: لا يخالط -لا تخالط من صارت أنثى وهي في الحقيقة ذكر- الذكور لأن فيها فتنة، ولا يخالط من صار أنثى وهو ذكر النساء لأنه ذكر وإن صارت صورته صورة أنثى.

هذا ملخص هذه المسألة، انتهينا؛ نكتفي بهذا.

ونسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العلم نافعا لنا رافعا لنا، وأن يجعله مزيّا لأنفسنا.

يا إخوة، الأمراض كثيرة، والعالم وطالب العلم من أكثر الناس ابتلاءً بهذه الأمراض؛ لأن الشيطان يريد أن ينال منه شيئاً، فينبغي أن نحرس ثغورنا، وأهمها ثغران:

• **ثغر القلب:** احرص قلبك حراسة عظيمة.

• **ثغر الوقت:** حافظ على وقتك محافظة عظيمة.

فأسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يحفظ قلبه ووقته، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، ونلتقي غدًا إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

(المجلس الثاني)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
الآتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد،
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك
حميد مجيد. اللهم صل على نبينا محمد وعلى أزواجه وعلى أصحابه.

اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم يا قوي يا عزيز، إن إخواناً لنا يعانون في بلدانهم من
الحرائق؛ اللهم فأطفئ عنهم النيران، واكفهم شر الدخان. اللهم تقبل من مات
منهم شهيداً، واشف مريضهم، وعوضهم خيراً.

إن إخواناً لنا يعانون من السيول الجارفة والفيضانات؛ اللهم فارأف بهم والطف
بهم. اللهم تقبل من مات منهم شهيداً، واشف مريضهم، وعوضهم خيراً يا رب
العالمين.

اللهم إن إخواناً لنا يعانون من احتلال العدو أراضيهم، ومن اعتدائه عليهم،
ومن أذيته لهم؛ اللهم فحرر أراضيهم منه، وحرر المسجد الأقصى منه. اللهم
واكفهم واكف المسلمين شرهم وأذيتهم بما شئت يا رب العالمين.

اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجزي
خادم الحرمين الشريفين وولي عهده خير الجزاء على ما يبذلانه من خير؛ اللهم زدهما
خيراً إلى خير، واكفهما كل شر يا رب العالمين. اللهم زدهما حرصاً على خدمة

الحرمين الشريفين، وعلى خدمة المسلمين. اللهم انفع بهما من سكن البلاد، وانفع بهما الإسلام والمسلمين، وزدهما خيرًا يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ يا ربنا يا حي يا قيوم، اجز علماء أهل السنة وطلاب العلم منهم خيرًا على حراستهم للتوحيد، ودعوتهم للتوحيد، وبيانهم للشرك وتحذيرهم منه، وعلى حراستهم للسنة، ودعوتهم إلى السنة، وتحذيرهم من البدع وأهلها. اللَّهُمَّ يا ربنا وصبرهم على ما يلقون من أذى في سبيل ذلك.

اللَّهُمَّ يا ربنا، إن عبادًا من عبادك قد سكنوا المدينة أو زاروا المدينة يرجون رحمتك ويخافون عذابك؛ اللَّهُمَّ فأنزل عليهم الرحمة، وآمنهم مما يخافون، وأعطهم ما يؤملون وخيرًا مما يؤملون، وارزقهم الأدب في مدينة رسولك **صلى الله عليه وسلم**.

أما بعد، فمعاشر الإخوة، نواصل شرحنا للقصيدة الهائية للشيخ الإمام **(حافظ حكيم)** رحمه الله عز وجل؛ فيتفضل الابن فايز وفقه الله والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين والمسلمات، آمين. أما بعد، فيقول المصنف رحمه الله:

﴿لَقَدْ نَظَرُوا قَوْمٌ بَعَيْنَ بَصِيرَةٍ إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرْهُمْ بِاخْتِيَالِهَا﴾

﴿أُولَئِكَ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا وَحِزْبُهُ لَّهُمْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ إِرْثًا وَمَا لَهَا
 وَآوَى إِلَيْهَا آخِرُونَ لَجَّهْلِهِمْ فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا أَرَشَتْهُمْ نِبَالُهَا
 ﴿أُولَئِكَ قَوْمٌ آتَرَوْهَا فَأَعْقَبُوا بِهَا الْخِزْيَ فِي الْآخِرَى وَذَاقُوا وَبَالَهَا

(الشرح)

نعم، بعد أن بين الناظم الناصح رحمه الله عز وجل حقيقة الدنيا وحقارتها كما دلت على ذلك أدلة الكتاب والسنة، وبين تقلب أحوالها كما دلت على ذلك الأدلة والحس، وبين أن الأصل في الدنيا أنها لا تساوي شيئاً، وأنها حقيرة، وأنها مبعدة عن الله عز وجل لأنها مبعدة عن الله عز وجل، ولا تخرج عن هذا إلا إذا عمرت بما يرضي الله سبحانه وتعالى؛ فلا قيمة للحياة الدنيا إلا بطاعة الله، إلا بالتوحيد، إلا بالعمل الصالح. الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا، كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**. ذكر الناظم رحمه الله هنا أقسام الناس في النظر إلى الدنيا، وأحوال الناس مع الدنيا.

وقبل أن أشرح الآيات، لعلكم لاحظتم أن الناظم رحمه الله قال: **«لقد نظروا قوم»**؛ فألحق الواو بالفعل مع ذكر الفاعل، وهذه لغة صحيحة على التحقيق، تنسب إلى بعض العرب؛ تنسب إلى طيء، وأزد شنوءة، وبني الحارث. وقد جاء استعمالها في القرآن والسنة؛ **قال الله عز وجل: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** [الأنبياء: ٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ

بِالنَّهَارِ﴾

كما في الصحيحين. ولذلك ابن مالك وهو يرى أنها لغة فصيحة، لكنها ليست لغة الجمهور من العرب، سماها لغة «يتعاقبون فيكم ملائكة»؛ أخذًا من الحديث وتأدبًا. وذهب جماعة من النحاة إلى أن هذه اللغة ضعيفة، وتأولوا ما ورد في القرآن والسنة، وسموا هذه اللغة (أكلوني البراغيث). والصواب الأول الذي قدمته؛ وقد سمعتم أن ابن مالك عدها لغة للعرب لكنها ليست لغة الجمهور، وقال القرطبي رحمه الله إنها لغة مشهورة لها وجه من القياس.

في هذه الأبيات يذكر الناظم رحمه الله عز وجل أقسام الناس في النظر إلى الدنيا؛ فقوم قرأوا ما في القرآن عن الدنيا وفهموه، وقرأوا ما في السنة عنها وصدقوه واتعظوا به، ونظروا إلى واقعها واعتبروا به؛ فعرفوا لها قدرها، وأنزلوها منزلتها، ولم يجعلوها طلبية لهم ولا بغية لهم، ولم تلههم عن الآخرة، بل أخذوا من مباحها ما لا يلهيهم ولا يطغيهم، وأخرجوا حبها من قلوبهم وأرادوا الآخرة وسعوا لها سعيها. وأولئك هم العقلاء، هم الأذكياء، هم أهل الله، هم حزب الله حقًا وصدقًا، الذين لهم الطيب والأمن في الحياة الدنيا ولهم النعيم المقيم في الآخرة. فهؤلاء الأخيار الذين عرفوا قدر الدنيا ولم تلههم عن الآخرة موعودون بالحياة الطيبة في دنياهم، وموعودون بالأمن في دنياهم، وموعودون بالمفاز العظيم والنعيم

المقيم في الآخرة.

وقسم طغى عليهم الغباء وقصر النظر، فغرّتهم الدنيا فطغوا وبعوا وآثروا الحياة الدنيا، وألهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر، ألهاهم متاع الحياة الدنيا حتى انتقلوا منها؛ فلم يحصلوا من الدنيا إلا قليلاً شاء الله أن يحصلوه، ولم يحصلوا من الدنيا بغيتهم، ولم يجدوا فيها السعادة، بل وجدوا فيها الشقاء والخوف والقلق والاضطراب، وكان لهم العذاب الشديد يوم القيامة. وقد تقدم معنا شيء يتعلق بهذا؛ **قال الله عز وجل:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]

باعوا آخرتهم بدنياههم، واشتروا دنياههم بآخرتهم؛ فاشتروا الخسيس الفاني بالعظيم الباقي، فلا تنعموا بالخسيس الفاني، ولا فازوا بالعظيم الباقي. **قال الله عز وجل:** ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ هُم نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢]

فذكر الله هنا القسمين: من كان همه الدنيا فقط، وهذا مذموم حاله، قبيح مآله، معذب في دنياه بحرصه على هذه الدنيا؛ ومنهم من يحرص على الأخرى ويتنعم بالحلال في الدنيا الذي لا يلهيه ولا يطغيه، وهؤلاء هم أهل الفوز.

وقال بعض العلماء إن أقسام الناس في النظر إلى الدنيا وبالنسبة لأحوالهم فيها أربعة؛ المصنف ذكر قسمين وهما القسمان الرئيسان، وبعض أهل العلم ذكر أربعة

أقسام:

• **الأول:** من انهمك في الدنيا ولهى بها وطغى وآثر الحياة الدنيا، وهؤلاء الكفار.

• **والثاني:** من غرته الدنيا بزيتها وزهرتها وزخارفها، لكنه لم يله بها بالكلية، بل كان موحدًا مخلصًا يعمل لله وتطغى عليه الدنيا حينًا فتطغيه، ويبقى غافلًا هكذا حتى يموت لا يتوب من تخليطه؛ فهذا مخلص مستمر على غفلته وهو على خطر عظيم.

• **والثالث:** من غرته الدنيا وزخارفها والزينة، لكنه لم يله بها عن الآخرة بالكلية، بل كان موحدًا وكان في عمله مخلصًا يعمل لله وتغلبه الدنيا أحيانًا فيرتكب محارم الله؛ يترك واجبًا أو يفعل حرامًا من أجل الدنيا، ولكنه يتوب ويعلم سوء ما فعل من الشر فيستغفر ويتوب؛ وهذا العاصي التواب الذي يعصي ويخلص ولكنه ليس غافلًا حتى يموت، بل يدرك سوء ما فعل من الشر ويستغفر الله ويتوب ثم تغلبه الدنيا ويرجع وهكذا.

• **والرابع:** من عرف للدنيا قدرها، وأنزلها منزلتها، وأخذ منها ما ينفعه، ولم يله بها عن الآخرة، وعلم أنها دار ممر لا دار مقر، وجمع منها ما لا يطغيه، وعمل فيها ما لا يلهيه، وأنفق في سبيل الله وكان همه الأعظم الآخرة وما يكون بعد موته؛ وهؤلاء هم أهل الله، هم حزب الله الموفقون الذين يوفقهم الله عز وجل ويكونون في ذمة الله في الدنيا ولهم النعيم المقيم

في الآخرة.

(المتن)

قال رحمه الله:

﴿فَقُلْ لِلَّذِينَ اسْتَعَذَّبُوا مِنْكُمْ رُوَيْدُكُمْ سَيَنْقَلِبُ السَّمُّ النَّقِيعُ زُلَالُهَا﴾

(الشرح)

لا، فقل للذين استعذبوها رويدكم سينقلب السم النقيع زلالها؛ إذا ضمنت أين المنقلب وأين المنقلب؟! لأن المقصود: سينقلب زلالها سمًا نقيعًا. فضبط الثلاثة بالضم خطأ، والصواب: «سَيَنْقَلِبُ السَّمُّ النَّقِيعُ زُلَالُهَا».

هنا بين الشيخ رحمه الله أن قسم الذين اغتروا بالدنيا وألهتهم عن الآخرة بحاجة عظيمة للنصيحة، وبين أن من شأن المؤمن الذي عرف قدر الدنيا أن ينصح غيره. لاحظوا يا إخوة أن الشيخ هنا ما وجه الخطاب للذين استعذبوا الدنيا، وإنما قال: «فَقُلْ»؛ يعني يا من عرفت قدر الدنيا ولم تله بها عن الأخرى، قل للذين استعذبوها وانصحهم. فاستفدنا فائدتين:

• **الفائدة الأولى:** أن الذين يلهون بالدنيا عن الآخرة هم أشد الناس حاجة للنصيحة؛ لأنهم في طريق مذموم، في حال مذموم، وفي مآل مخوف.

• **والأمر الثاني:** أن من شأن المؤمن الذي عرف للدنيا قدرها وأحسن التعامل معها أن ينصح غيره ممن لهى بالدنيا؛ وهذا شأن المؤمن

المفلح أن يحرص على صلاح نفسه وعلى إصلاح غيره.

«وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»

أصلحوا أنفسهم، «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ» حرصوا على إصلاح غيرهم، «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» حرصوا على الثبات؛ هذا شأن المؤمن. فالناظم رحمه الله في كل كلمة يذكرها له مقاصد؛ فهنا أراد الناظم رحمه الله أن ينبهنا إلى هذين الأمرين العظيمين، فوجه خطابه للناصح لا لهم، بأن يقول لهؤلاء الذين طلبوا عذوبة الدنيا وصفاءها وسرورها مغترين بزيتها وزهرتها، أن يقول لهم إنكم لن تجدوا ما تأملون ولن يستمر ما ترون، بل هذا الزلال الذي ترونه عذباً بارداً صافياً -والزلال يا إخوة هو العذب البارد الصافي- سينقلب ولا بد إلى ضده؛ فيكون سماً نقيعاً شديد السمية سريع القتل شديد الألم.

والسم إذا قيل إنه نقيع فهو شديد السمية سريع القتل قوي الألم شديد الألم. فهذا العذب الذي ترونه وتطلبونه في الدنيا سينقلب سريعاً سماً نقيعاً. وهذا الانقلاب قد يكون في الدنيا؛ وهذا كثير لأن الدنيا مخلوقة على الامتزاج وتقلب الأحوال. ولو فرضنا أن ذلك لم يقع في الدنيا واستمر عذب الدنيا وزلالها، فإنه سيقع ولا بد بعد الموت؛ فحتى لو هوا بها حياتهم كلها وكانوا فيها متنعمين، فإن اليقين الذي لا شك فيه أن الموت لاحق بهم، وستنقطع علائقهم بهذه الحياة الدنيا ليبدأ السم النقيع لحظة خروج الروح، حيث تقول الملائكة التي تحضره: «اُخْرِجِي

أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ
وَعَسَاقٍ، وَآخِرَ مَنْ شَكَلِهِ أَزْوَاجٌ؛ فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج نزعاً كما ينزع
السفود من الصوف المبلول .

وإذا صعد بها واستفتح لها قيل: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد
الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء، ثم تصير إلى القبر وعذاب
القبر، فيتمنى المخدول عند ذلك أن يرجع إلى الدنيا ليعمل صالحاً غير الذي كان
يعمله، ويلحقه من الندم ما لا يطاق؛ **قال الله عز وجل:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّمَا كَلِمَةٌ
هِيَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]

قال ابن الجوزي رحمه الله عز وجل: ﴿مَنْ أَطْلَقَ نَفْسَهُ فِي شَهَوَاتِهَا وَلَمْ
يَنْظُرْ إِلَى حَلَالٍ وَحَرَامٍ، نَزَلَ بِهِ مِنَ النَّدَمِ وَقَتَ الْمَوْتِ أَضْعَافَ مَا التَّدَّ، وَلَقِيَ مِنْ
مَرِيرِ الْحَسَرَاتِ مَا لَا يُقَارِبُهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّذَاتِ؛ وَلَوْ كَانَ هَذَا فَحَسْبُ لَكَانَ حُزْنًا
شَدِيدًا، فَكَيْفَ وَالْجَزَاءُ الدَّائِمُ بَيْنَ يَدَيْهِ؟﴾

لو لم يكن من قبيح مآل من أثر الدنيا وطغى إلا هذا، لكفى هذا العاقل أن يفر
من الالتها بالدينا فراره من الأسد، وأن يأخذ منها البلغة ويجعل الآخرة هي
الغاية؛ فكيف وهذا قليل مما سيلقاه بعد حين يلقي الله عز وجل كما قال الناظم.

(المتن)

قال رحمه الله:

﴿لِيَلْهَوْا وَيَعْتَزُّوا بِهَا مَا بَدَأَ لَهُمْ مَتَى تَبْلُغِ الْحُلُقُومَ تُصْرِمُ حِبَالَهَا﴾

(الشرح)

هذا شرحناه.

(المتن)

﴿وَيَوْمَ تُوقَى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسِبِهَا تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَيْنَهَا وَمَالُهَا﴾
 ﴿وَتَأْخُذُ إِمَّا بِالْيَمِينِ كِتَابَهَا إِذَا أَحْسَنْتَ أَوْ ضِدَّ ذَا بِشِمَالِهَا﴾
 ﴿وَيَبْدُو لَدَيْهَا مَا أَسْرَتْ وَأَعْلَنْتَ وَمَا قَدَّمْتَ مِنْ قَوْلِهَا وَفَعَالِهَا﴾

(الشرح)

نعم، يعني وفي يوم القيامة حين يبعث الناس حفاة عراة غرلاً، فتكون الشدائد العظام والزلزلة العظيمة، فتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، ويتمايل الناس من الهول كأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. هناك يكون الحال كما قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧]

هناك إذا رأى الإنسان تلك الأهوال وأيقن من عذاب الله عز وجل لا يعرف ابناً ولا والداً، وزوجه ولا صاحباً، ولا قريباً ولا بعيداً؛ قد شغل بنفسه، وكما قال

سبحانه: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ ۖ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنِهِ *
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾
[المعارج: ١١ - ١٤]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
لَيَقْتُدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [المائدة: ٣٦]
فليست رغبتهم أن يفتدوا بما حصلوه في الدنيا، وإنما بكل الدنيا منذ خلقت
إلى أن فنيت، وبمثلها معها لو قبل منهم الفداء واستطاعوه لبذلوه؛ ويود الواحد
منهم لو يفتدي من عذاب الله بالناس أجمعين، بالقریب والبعيد لا بمن أهوهم في
الدنيا من البنين والزوجات بل بكل الناس أجمعين؛ لأنهم في تلك الحال يدركون
حقارة الدنيا الملهية عن الآخرة والمبعدة عن رب العالمين، فيندمون أشد الندم
ولات حين مندم. وأسروا الندامة لما رأوا العذاب؛ يتمنى الواحد منهم لو يرد إلى
الدنيا إذا وجد طريقاً إلى ذلك ليعمل غير الذي كان يعمل ولا طريق إلى ذلك؛
وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ولا طريق.

فينبغي على العاقل أن يتفكر في هذه الحال وهو اليوم في الدنيا؛ لأنه يستطيع
أن يتخلص من سوء الحال وأن يرجع إلى الله، والعبرة بالخواتيم. قال ابن الجوزي
رحمه الله: يا من تهادى في معصية رب الأرباب ونسي الجنة وحسن المآب، فانظر
لنفسك قبل حصول الندم وزوال النعم ونزول النقم حيث لا ينفع الندم. وقال ابن
رجب رحمه الله: «الْغَنِيمَةُ بِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ»؛ يعني ما دمت حياً فالفرصة قائمة،

والعودة ممكنة، والرجوع مطلوب محبوب. المبادرة إلى العمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المفرط على ما حصل، قبل أن يسأل الرجعة ليعمل صالحًا فلا يجاب إلى ما سأل.

في ذلك اليوم العظيم يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم، فيوضع الكتاب وتتطاير الصحف ويؤتى كل إنسان كتابه. قال ربنا سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] وهي كتب مطوية على ما فيها؛ كان الملائكة يكتبون فيها فلما مات الإنسان طويت ويوم القيامة تنشر لصاحبها. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]

هؤلاء هم أهل السعادة الذين عرفوا للدنيا قدرها وللآخرة فضلها؛ فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، وهو العرض يعرض عليه عمله عرضًا يذني عليه الجبار كنفه فيعرض عليه عمله: اذكر كذا؟ من غير لوم، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله عز وجل: «سَتَرْنَاهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا غَفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»؛ ما أعظمه من فرح! صح عبد يذني عليه ربه كنفه، موقف عظيم ويعرض عليه سيئ عمل عمله: اذكر كذا؟ فإذا رأى كثرة ما عرض ظن أنه هلك، فإذا بالرحيم سبحانه وتعالى يقول له:

سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. والله إن الواحد منا لا يستطيع أن يقدر مقدار فرحته في تلك اللحظة وفي تلك الساعة؛ ولذلك قال الله: وينقلب إلى أهله مسرورًا.

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره؛ هؤلاء هم أهل الشقاء، تؤخذ شمال الواحد منهم وتجعل وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ ۚ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٥]

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤]

وأما من أوتي كتابه بشماله كما قلنا تؤخذ شماله وتجعل من وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي * هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِي * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٣٤]

الله أكبر يا إخوة! أعلى ما يطلبه الناس في الدنيا المال والجاه، المال والمنصب، أكثر ما يجعل الإنسان يلهو بالدنيا عن الأخرى المال والمنصب؛ فيقول: ما أغنى

عني ماليه، هلك عني سلطانيه. **قال الله عز وجل:** ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]

في ذلك اليوم العظيم وفي ذلك المشهد المهيّب يرى كل انسان ما قدم وأخر، يرى ما أحضر لا يفقد منه شيئاً ولو قليلاً: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠]

في يوم القيامة يحضر لكل عبد جميع أعماله من خير وشر، لا يفقد من ذلك مثقال ذرة؛ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. والذي يعمل يرى الشر يود لو أن بينه وبين هذا الشر مسافة بعيدة ويندم ندماً شديداً أنه قد عمله.

ولا شك يا أحبة أن ترك شهوات الدنيا المحرمة مع صعوبته أحياناً أيسر بكثير من هذه المواقف ومن هذه الشدائد ومن هذه الأهوال؛ فإذا تزخرت الدنيا لأحدنا ورأى أن نفسه الأمارة بالسوء تدعوه إلى الانغماس في قدرها، فليذكر نفسه بهذه الحقائق وهذه الشدائد، وأن صبره عن هذه الشهوة وإن كان فيه مرارة لا يساوي شيئاً أمام تلك الشدائد؛ بل ستكون هذه المرارة في الدنيا حلاوة يوم القيامة.

ينبغي على العبد وهو يسمع هذه الآيات المنظومة أن يخاطب نفسه، وأن يذكر نفسه، وأن ينظر في حاله مع الدنيا، وأن يتخفف منها ما استطاع، وأن يجعل همه

الأعظم الآخرة وكيف ينجو من تلك الشدائد، وكيف يكون من أهل السرور عند تطاير الصحف.

(المتن)

قال رحمه الله:

بِأَيْدِي الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ مُسَطَّرٌ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرُهَا وَجَدَّالَهَا

(الشرح)

أي أن تلك الكتب التي يؤتاها الناس يوم القيامة قد كتبها ملائكة أمناء كرام، وكلهم الله عز وجل برصد أقوال وأعمال العباد وكتابتها، كما قال الله عز وجل:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

ملك يترصد يراقب أقواله ولا يغفل بل هو حاضر دائماً. وهل يكتب كل لفظ يقوله، أو يكتب ما يتعلق به الثواب والعقاب؟ قولان للعلماء؛ فإن من العلماء من أخذ بظاهر الآية وأن كل ما ينطق به الإنسان يكتبه الملك وإن لم يتعلق به ثواب ولا عقاب، ومن الناس من نظر إلى المقصود من الكتب وهو الأعدار والشهادة فقال لا يكتب إلا ما يحتاج إلى الشهادة وهو ما يتعلق به الثواب والعقاب، وكما قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩، يونس: ٢١].

وهذا يا إخوة يقطع جدال كل نفس عن نفسها؛ وذلك أن كل نفس تأتي يوم القيامة تجادل عن نفسها كما قال ربنا: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]. فإذا نشرت الصحف وقام الشهود وشهدت الأعضاء، انقطع الجدل ولم ينفع الاعتذار؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك صلى الله عليه وسلم، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا أَضْحَكُ؟» قال فقلنا: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وسلم من مخاطبة العبد ربه يقول: ﴿يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلُمِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيرُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي﴾

وهذا آخر جدل الإنسان؛ قال: ﴿فَيَقُولُ اللَّهُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ عَلَيْكَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُحَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا! فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ﴾

رواه مسلم في الصحيح.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يلقى العبد عبداً فيقول: «أَيُّ قُلٍّ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأُسَخِّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبُعُ؟» فيقول: بلى، فيقول: أفظنت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول له مثل الأول

ويجيب مثل الأول ويقول له الله مثل ما قال للأول؛ ثم يلقي الثالث فيقول له كما قال لهما، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، يثني بخير على نفسه ما استطاع، فيقول سبحانه: «الآن نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ» ويتفكر في نفسه من الذي يشهد علي؛ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي، فتنطق فخذة ولحمه وعظامه بعمله ليعذر من نفسه؛ وذلك المنافق، وهو العبد الثالث وهو المنافق، رواه مسلم في الصحيح.

(المتن)

قال رحمه الله:

﴿هُنَالِكَ تَدْرِي رِبْحَهَا وَخَسَارَهَا وَإِذْ ذَاكَ تَلْقَى مَا إِلَيْهِ مَالُهَا﴾

(الشرح)

نعم، في يوم القيامة يكشف الغطاء، ويدرك الرابع ربحه ويفوز المفاز العظيم، ويدرك الخاسر خسارته ويوفى جزاء ما عمل؛ **قال الله عز وجل:** ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] وقد قال جماعة من السلف يا إخوة إن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن، ختمت الأوامر والنواهي بهذه الآية العظيمة؛ جاء هذا عن ابن عباس وعن جماعة من السلف **رضي الله عنهما** أن هذه آخر آية نزلت من القرآن. يقول ابن كثير عن هذه الآية: يعظ الله عباده ويذكرهم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وإتيان الآخرة والرجوع إليه، ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا، ومجازاته إياهم

بما كسبوا من خير وشر، ويحذرهم عقوبته. وما أعظمه من مقام! **قال الله عز وجل:**
﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]

وقال سبحانه: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]

ففي ذلك اليوم العظيم ترى كل نفس ما عملت وتميز خيرها من شرها، ويتبع ذلك الحساب والجزاء؛ لا ظلم في ذلك اليوم، وربنا سبحانه وتعالى سريع الحساب. يا لها من مواقف عظيمة تدعو المؤمن إلى الاتعاظ والاعتبار! والله إنها حق كأننا نراها، وإن الموت يقين وإن تناسيناها، قريب وإن استبعدناها؛ سينادى علينا ويصلى علينا وندفن ونلقى ما عملنا. هناك من ينعم في قبره -نسأل الله أن نكون من أهل النعيم- وهناك من يعذب في قبره، ثم يكون البعث في موقف مهيب وفي تبدل للأحوال عجيب وفي زلزلة شديدة، ويرى الناس وهم في الموقف النار وقد قربت ويدركون حقيقة الدنيا وأنهم مجزيون بأعمالهم؛ يا لها من مواقف يجب أن نستحضرها لتزكو نفوسنا وتصلح أقوالنا وأعمالنا.

ينبغي يا أحبة أن نؤدب أنفسنا بهذا، وأن نذكرها بهذا، فإننا في زمن المهلة، وهذا التذكر ينبغي أن نقشع به الغفلة، وأن ندرك أن الحقيقة هي ما نقدمه لغد وما سنلقاه غداً، حيث يفرح المؤمنون بقاء الله؛ إذا بشر أحدهم عند النزع أحب الله لقاءه وأحب لقاء الله فيحب الله لقاءه، وأما الظالمون فسيعلمون أي منقلب

ينقلبون؛ نعوذ بالله من سوء الحال، نسأل الله أن يبصرنا ويهدينا ويتوب علينا.

نقف عند هذه النقطة، ونكمل غداً إن شاء الله بقية القصيدة، حيث يذكر الشيخ رحمه الله في بقيتها حال من عرف قدر الدنيا وعمل للأخرى من النعيم المقيم، وحال من هوى بالدنيا وطغى من العذاب الشديد؛ نسأل الله رحمته ونعوذ من عذابه. وإذا كان ثمت أسئلة نجيب على شيء منها ولا نطيل عليكم إن شاء الله، لتتفرغوا فيما بقي من يوم الجمعة لكثرة الصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم** وسؤال الله عز وجل ما تحبون وما تريدون.

• **السؤال الأول:** ما معنى يلقي عليه كنفه؟

• **الجواب:** الله عز وجل يدني عبده ويلقي عليه كنفه فيستره من الناس، يعرض عليه عمله عرضاً ساتراً إياه من الناس، حتى يكون ما يكون مما ذكرناه.

• **السؤال الثاني:** ما صحة حديث أن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتبت واحدة؟

• **الجواب:** الله عز وجل غفور رحيم، كتب الحسنات والسيئات؛ فإذا هم العبد بحسنة كتبها عشر حسنات -أي أمر ملائكته أن يكتبوها عشر حسنات- وإذا هم العبد بسيئة فعملها كتبت سيئة واحدة، وإذا لم يعملها كتبت حسنة إذا كان قد تركها خوفاً من الله سبحانه وتعالى. ومع

كرم الله جاء هذا الحديث أن السيئة لا تكتب إلا بعد مرور زمن، والساعة كما قلنا ليست هي الساعة التي نعرفها وإنما الساعة هي المدة من الزمن؛ وهذا الحديث مختلف فيه، لكن الذي يظهر والله أعلم أنه صالح، وعلى كل حال فرحة الله واسعة.

نقف عند هذه النقطة ونلتقي غداً إن شاء الله بعد العصر. غداً هذا الأسبوع ليس عندنا درس الفجر، ابتداءً من الأسبوع القادم سيكون عندنا في يوم السبت درس بعد الفجر على كرسي الشيخ عبد المحسن والذي يدرس عليه الآن الشيخ الفاضل العالم الشيخ عبد الرزاق حفظه الله، ودرس بعد العصر، لكن غداً سيكون الدرس بعد العصر فقط إن شاء الله. أسأل الله أن يتقبل مني ومنكم ويغفر لي ولكم، والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

(المجلس الثالث)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، **صلى الله عليه وسلم** تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين، ورضي الله عن آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فمعاشر الفضلاء، أذكر نفسي وإخواني بحق إخواننا المكروبين علينا؛ فإن العناية بهم والدعاء لهم من مقتضيات الإيثار، فقد قال النبي -**صلى الله عليه وسلم**:- **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**.

وإن اعتنأنا بإخواننا المكروبين في فلسطين وغيرها لا ينبغي أن يكون تابعاً للزوبعات التي تثار، وإنما ينبغي أن يكون دائماً فهم في كرب، وكذلك من علمناه في كرب عام أو خاص من إخواننا ينبغي أن نعنتي بالدعاء له وأن يفرج الله عنه؛ هذا مقتضى الإيثار وهذا شأن أهل الخير وأهل الصلاح. أحببت أن أذكر نفسي وإخواني بهذه القضية فإننا نرى غفلةً من كثير من الناس عن إخواننا المكروبين.

ثم إننا في هذا المجلس نختم شرح **(القصيدة الهائية)** للشيخ العلامة **(حافظ حكيم)** -رحمه الله عز وجل-؛ فيفضل الابن فايز -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين،
 نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين
 والمسلمات، آمين. أما بعد؛ فيقول المصنف - رحمه الله تعالى -:

﴿ فَإِنْ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالتَّقَى ﴾	﴿ فَإِنَّ لَهَا الْحُسْنَى بِحُسْنِ فِعَالِهَا ﴾
﴿ تَقُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَحُورِهَا ﴾	﴿ وَتُحْبَرُ فِي رَوْضَاتِهَا وَظِلَالِهَا ﴾
﴿ وَتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيمِهَا ﴾	﴿ وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِهَا وَزَلَالِهَا ﴾
﴿ وَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَمَوْعِدًا ﴾	﴿ زِيَادَةً زُلْفَى غَيْرُهُمْ لَا يَنَالُهَا ﴾
﴿ وَجُوهٌ إِلَى وَجْهِهِ الْإِلَهِ نَوَاطِرُ ﴾	﴿ لَقَدْ طَالَمَا بِالْذَّمِّ كَانَ ابْتِلَالُهَا ﴾
﴿ تَجَلَّى لَهَا الرَّبُّ الرَّحِيمُ مُسَلِّمًا ﴾	﴿ فَيَزِدُّهُ مِنْ ذَلِكَ التَّجَلَّى جَمَالُهَا ﴾
﴿ بِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبَدَا الْجَارِ رَبُّهُمْ ﴾	﴿ وَدَارِ خُلُودٍ لَمْ يَخَافُوا زَوَالُهَا ﴾
﴿ فَوَاكِهُ مِمَّا تَلَذُّ عَيْنُهُمْ ﴾	﴿ وَتَضْطَرُّدُ الْأَنْهَارِ بَيْنَ خِلَالِهَا ﴾
﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ثُمَّ قُرُشِهِمْ ﴾	﴿ كَمَا قَالَ فِيهَا رَبُّنَا وَاصِفًا لَهَا ﴾
﴿ بَطَائِنُهَا اسْتَبْرَقَ كَيْفَ ظَنُّكُمْ ﴾	﴿ ظَوَاهِرُهَا لَا مُنْتَهَى لِحِمَالِهَا ﴾

(الشرح)

نعم، بعد أن ذكر الناظم - رحمه الله عز وجل - أقسام الناس في النظر إلى الدنيا، وأن منهم من يعرف للدنيا قدرها وينزلها منزلتها، فيأخذ من مباحها ما ينفعه ويستعمله فيما يقربه إلى ربه، وتكون نيته وقصده وطلبته وغايته الآخرة ما عند الله

سبحانه وتعالى، وأن هؤلاء هم أهل البشارة وأهل الفرح بلقاء الله عز وجل الذين يحبون لقاء الله وأنهم أهل الله وحزبه المنصورون ؛ وأن من الناس من تغره الدنيا بزخارفها وزينتها ويغره الشيطان بالدنيا فيلهو بالدنيا عن الأخرى ويطغى، وأن هؤلاء هم أهل الشقاوة وأهل الندم الأعظم، يندمون عند الموت ويندمون عند لقاء الله عز وجل ويتحسرون في النار، ونصح القسم الثاني بأن يتدارك نفسه ويفيق من غفلته ويرجع إلى الصواب قبل أن تحل ساعات الندم ؛

أقول: بعد أن ذكر هذا وبينه، بين - رحمه الله عز وجل - مآل كل قسم من القسمين في الآخرة، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

فذكر الله عز وجل القسمين وذكر مآل كل قسم؛ فمن عرف للدنيا قدرها وأنزلها منزلتها وأخذ من مباحها ما ينفعه ونوى فيه نية حسنة، وأخرج منه لله عز وجل وجعل الآخرة بغيته وسعى لها سعيها مستعيناً بربه واستغفر من تقصيره، هؤلاء هم أهل السعادة المبشرون بجنات فيها النعيم المقيم، لا موت فيها ولا تعب فيها ولا منغص فيها ولا ملل فيها، ومهما وُصفت فهي أعلى مما وُصفت، ولن يدرك حقيقة نعيمها وما فيها من المخلوقين إلا من دخلها ؛ قال تعالى: ﴿لَهُ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وقال النبي - **صلى الله عليه وسلم** - قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا أُعَدِّدُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ﴾ رواه الشيخان في صحيحهما .

وقال النبي - **صلى الله عليه وسلم** - : ﴿مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ﴾ رواه مسلم في الصحيح .

وقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ۖ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۖ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨].

فأولئك أهل السعادة؛ الذين خافوا الله في الدنيا فآمنهم في الآخرة، الذين اتقوا الله عز وجل في الدنيا فجعل لهم المفاز في الآخرة، ينالون بفضل الله الحسنى التي ليس فيها إلا حسن فهي كاملة في حسنها؛ قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

أحسنوا في الدنيا فإحسان الله لهم في الأخرى؛ أحسنوا في الدنيا فعملوا الصالحات وخافوا الله وكانوا متقين لله حيثما كانوا، وكانوا مستغفرين توابين، فأحسن الله إليهم في الآخرة وجعل لهم الجنة التي فيها منتهى الحسن، وليس فيها شيء إلا وقد بلغ من الحسن كماله، هم الفائزون بفضل الله عز وجل .

بجنان هي بساتين عظيمة جامعة، فيها من الأشجار العجيبة الكثيرة الجميلة؛

من نخل وعنب وغيرهما، وفيها من الثمار اللذيذة التي يطيب مرآها ويلتذ بها أكلها . وظلها مديد مقيم؛ من دخلها اجتنَّ بها وسترته من كل ما يؤذيه؛ هي جنة من جهة كونها بساتين وارفة، وهي جنة من جهة كونها ساترة لمن يدخلها عن كل ما يؤذيه؛ فمن دخلها لا يلقي أذى أبداً .

ولهم فيها أزواج مطهرة من كل عيب ومن كل دنس، حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون؛ بلغن في الجمال منتهى . ومن جاهلن سعة عيونهن مع صفاء السواد والبياض في تلك العيون، فلا يعلم مقدار جاهلن إلا الذي خلقهن سبحانه وتعالى . وإذا دخل المؤمن الجنة سيرى ذلك الجمال ويتنعم به بفضل الله سبحانه وتعالى ؛

قال الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۖ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال ربنا سبحانه وتعالى مبشراً وواعداً: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٦].
وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مَطَّرٌ عَيْنٌ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨ - ٤٩].

وتكون أنفسهم في غاية السرور وفي غاية البهجة في حدائق الجنة الخضراء المزهرة المثمرة، وفي ظلال أشجارها الوارفة يتنعمون بذلك ويكرمون بذاك المقام، ويسمعون ما لا يؤذيهم فلا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً؛ ويسمعون الغناء الذي

يأخذ بمجامع القلوب؛ صانوا آذانهم عن سماع الغناء في الدنيا فجعل لهم الله الغناء الزكي الذي يأخذ القلوب في الجنة، هم في روضات يجرون؛ **قال تعالى:** ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٢٢].

والجنة رياض لا أحسن منها ولا أجمل منها؛ ففي حديث سمرة - رضي الله عنه - في رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ﴾ كما عند البخاري في الصحيح .

أولئك الأتقياء السعداء المنعمون لا يشتهون شيئاً إلا أوتوه وقرب إليهم؛ **قال تعالى:** ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا هُمْ فِيهَا مَّا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣١] .

وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] .

وقال سبحانه: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ مَّا تَدَّعُونَ ۖ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١ - ٣٢] .

أولئك الأتقياء السعداء المنعمون يشربون من أنهار الجنة وعيونها، وأعلى عيون الجنة وأرقاها عين عالية ينحدر ماؤها، وفي الجنة يكشف الحجاب، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه سبحانه وتعالى؛ هذه المكربة العظيمة

إنما هي للمؤمنين، أما الكفار والمنافقون فلا ينظرون إلى وجه ربهم سبحانه وتعالى

أولئك السعداء أهل الجنة المنعمون في مقعد صدق في دار كرامة الله ورضوانه
وفضله وعظيم إحسانه، في مجلس لا يسمعون فيه إلا حقاً، فلا يسمعون فيه لغواً
ولا تأثيماً، وهم عند ربهم المليك التام الملك المقتدر الذي لا يعجزه شيء سبحانه
وتعالى، فما طلبوه يعطيهم إياه سبحانه وتعالى ويرزقهم ما يشتهون ؛ كما قال
تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾
[القمر: ٥٤ - ٥٥] .

وهم في نعيمهم وفي مقعد إكرامهم قريون من ربهم سبحانه وتعالى، وهم في
هذا النعيم لا يخافون فوتاً ولا موتاً؛ لا يخافون فوتاً للنعيم، ولا يخافون موتاً عن
هذا النعيم ؛ قال الله عز وجل: ﴿أَكُلُوا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] .
وقال سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾
[الحجر: ٤٨] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] .
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :
﴿يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ﴾ رواه البخاري في الصحيح

وعنه - رضي الله عنه وأرضاه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

: ﴿يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ: خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا تَمُوتُونَ فِيهَا أَبَدًا﴾ رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيَءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ؛ فَيَزِدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ﴾ متفق عليه رواه الشيخان .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وأبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿يُنَادِي مُنَادٍ أَيُّ لَأَهْلِ الْجَنَّةِ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا﴾ رواه مسلم في الصحيح .

ثم ذكر الناظم - رحمه الله - شيئاً من وصف الجنة، وإلا فلا تنتهي لجمال الجنة ؛ وتلك الأنهار تتفجر من أعلى الجنة ثم تسيل حتى تصل إلى أدنى درجة في الجنة . فيها أنهار تجري بالماء الزلال غير الآسن، وباللبن اللذيذ الذي لم يتغير طعمه،

وبالخمير الذي ليس فيه إلا اللذة وطيب الرائحة، وبالعسل المصفى ؛ كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]

وهم في نعيمهم هذا يتكئون ويجلسون وينامون على سرر منسوجة قد أدخل بعضها في بعض وأحكم صنعها وهي مرفوعة يتمتعون بها ؛ كما قال ربنا سبحانه: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٥ - ١٦] .

والموضونة هي المنسوجة في كمال وجمال، وهي مرفوعة كما قال الله عز وجل: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣] .

ويتكئون ويترشون فرشاً مهياً لراحتهم بطائنهما - أي ما في داخلها أو ما يلي الأرض منها - من إستبرق، من أجود أنواع الحرير، من حرير تخين منسوج هو أحسن أنواع الحرير؛ فكيف بظواهرها؟! إذا كان الذي يلي الأرض هكذا فكيف بالذي يليهم؟! إنها فرش لا يعلم حسننها ولينها إلا الله سبحانه وتعالى، وسيدرك من يدخل الجنة حسننها ولينها ويتنعم بالاتكاء والجلوس عليها ؛ قال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ ﴿٥٤﴾ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۖ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]

والشيخ إنما ذكر شيئاً من نعيم الجنة لمن لم يغتر بالدنيا ولم يله بها، تشويقاً إلى تلك الجنة وحثاً للنفوس على أن تسعى لها سعيها، وأن تعمل بما يوصل إليها بفضل

الله عز وجل . نعم، أحسن الله إليكم .

(المتن)

أحسن الله اليكم قال - رحمه الله -:

لِلَّهِ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ وَنَارُ جَحِيمٍ مَا أَشَدَّ نَكَالَهَا
لِلَّهِ لَهُمْ تَحْتَهُمْ مِنْهَا مِهَادٌ وَفَوْقَهُمْ غَوَاشٍ وَمِنْ يَحْمُومٍ سَاءَ ظِلَالُهَا
لِلَّهِ طَعَامُهُمُ الْغُسْلِيُّ فِيهَا وَإِنْ سَقُوا حَمِيمًا بِهِ الْأَمْعَاءُ كَانَ انْجِلَالُهَا
لِلَّهِ أَمَانِيهِمْ فِيهَا الْهَلَاكُ وَمَا لَهُمْ خُرُوجٌ وَلَا مَوْتُ كَمَا لَا فَنَاءَ لَهَا

(الشرح)

نعم، هنا يبين الناظم - رحمه الله عز وجل - من أثر الدنيا ولهى بها عن الأخرى
وطغى وبغى، فإن مأواه النار دار الحسرات والويل ؛ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥]

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] .

وقال سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] .

وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف
بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم الموت، فيؤمر
به فيذبح ويقال: يا أهل النار خلود فلا موت؛ ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وهم يعذبون عذاباً شديداً ويعاقبون عقاباً شديداً في نار جهنم؛ فرشهم فيها نار محرقة، وأعطيتهم التي تلوهم نار محرقة؛ قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

فالنار من تحتهم تحرقهم ومن فوقهم تغشاهم وتغطيهم، وظلمهم يحوم وهو دخان شديد السواد، شديد الحرارة، شديد الأذى، فهم في شدة العذاب وغاية الإهانة، لا يرون ما يسرهم أبداً؛ قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّالِ مَا أَصْحَابُ الشَّالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

وطعامهم من غسلين؛ من صديد أهل النار ومن قيحهم ومما يسيل من جلودهم، لا يأكله إلا المذنبون الخاطئون؛ قال الله عز وجل: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ ۖ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٧].

وإن جفت حلوقهم واحترقت أجوافهم فاستغاثوا، أغيثوا بهاء حار شديد الغليان يشوي وجوههم ويسقط فروة رؤوسهم ويقطع أمعاءهم؛ قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَأَن يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ

الشَّارِبُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿﴾ [الكهف: ٢٩].

يطلبون الخروج من النار أو التخفيف فلا يُسمع لهم، فيتمنون الموت ولن يموتوا، فهم في شديد العذاب خالدون ؛ قال تعالى: ﴿﴾ (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿﴾ [غافر: ٤٩].

وكان الجواب: ﴿﴾ (قَالُوا فادْعُوا ۖ وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿﴾ [غافر: ٥٠].

وقال تعالى عن أهل النار: ﴿﴾ (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿﴾ قال أخسؤا فيها ولا تُكَلِّمُون) ﴿﴾ [المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٨].

وقال الله عز وجل: ﴿﴾ (وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿﴾ [الزخرف: ٧٧].

فهم في العذاب خالدون ؛ قال الله عز وجل: ﴿﴾ (إِنَّ الْجَرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٥].

نعوذ بالله من عذاب جهنم، ونعوذ بالله من كل طريق يوصل إلى جهنم . وقد ذكر الشيخ الناظم -رحمه الله- شيئاً من جحيمها وعذابها وألمها تخويفاً منها وترهيباً؛ حتى يتنبه الناصح لنفسه فيتجنب كل طريق يوصله إلى جهنم، وإن زلت القدم يتوب إلى الله سبحانه وتعالى . نعم، أحسن الله إليكم .

(المتن)

أحسن الله اليكم قال - رحمه الله -:

لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا مَحَلَّانِ قُلْ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا لِتَكْسِبَ أَوْ فَلْتَكْتَسِبَ مَا بَدَأَ لَهَا
فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَوَزَتْ وَتَخَفَّفَتْ فَتَنْجُو كَفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

(الشرح)

نعم، الآخرة فيها محلان: جنة هي رحمة الله، ونار هي عذاب الله . فإما أن يكسب الإنسان في دنياه خيراً فيكون من أهل الجنة خالداً مخلداً فيها بفضل الله، وإما أن يكتسب شراً مع كفر فيكون من أهل النار خالداً مخلداً فيها، وإما من اكتسب شراً مع توحيده وصلاته

يكون من أهل القبلة أو على عباد الله من المسلمين، لكن الدنيا تغريه وتخطفه أحياناً بزخارفها فيترك واجباً أو يفعل محرماً . فإن تاب في الدنيا ووافى بغير هذا الذنب فهو من أهل الجنة؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وإن استمر في غفلته حتى مات على ذنبه فهو من عصاة أهل القبلة، متوعد بالعذاب وهو تحت المشيئة؛ قد يدخل النار بذنبه ثم يخرج منها ويصير إلى الجنة .

والنفس المؤمنة تحرص على التخفف من الدنيا وتعمل للآخرة؛ فتتخفف من الدنيا وتسعى لأن تنجو منها كفافاً لا لها ولا عليها مع عملها للآخرة، وهذا أدنى الكمال يدخل به الإنسان الجنة بفضل الله .

وأعلى الكمال أن تأخذ النفس من مباح الدنيا بنية حسنة فتثاب على ذلك؛ تأكل لتتقوى على طاعة، تسعى في طلب المال بأسبابه المباحة لتعف نفسها ومن تمون

فتشاب على ذلك، وتنفق من ذلك المباح في سبيل الله فتشاب على ذلك؛ وهذا أعلى الكمال، والناس الموفقون بين هاتين الدرجتين؛ منهم من يكون حاله في الدنيا أنه يخرج منها كفافاً لا له ولا عليه، ومنهم من يحصل خيراً منها يقربه إلى ربه، ومنهم من يزداد .

وبهذا نكون قد أنهينا شرح هذه القصيدة الوعظية الأثرية السننية الموسومة بـ **(الهائية)** للشيخ حافظ حكيم - رحمه الله عز وجل - وجزاء عنا وعن الإسلام والعلم خير الجزاء .

الشيخ حافظ - رحمه الله - مات شاباً؛ مات عن خمس وثلاثين سنة وأشهر **(٣٥ سنة وأشهر)**، ومع ذلك ترك كتباً ومنظومات في سائر الفنون محررة، محققة، أثرية، طيبة . فرحمه الله وجعله من أهل الفردوس الأعلى، ونفعنا بما ترك وجعلنا من يقوم بحقوق العلماء الربانيين فيدعو لهم ويستغفر لهم .

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا جميعاً ممن إذا ذكروا تذكروا، وإذا بُهوا تنبهوا، لا يعاندون ولا يتيهون في طرق الغفلات . هذه القصيدة والله من أعظم المواعظ والزواجر عن الاغترار بالدنيا؛ ما أحوجننا إلى أن نقرأها ما بين الفترة والفترة! والله جميل يا إخوة لو أن الواحد منا كل فترة يقرأ هذه القصيدة ويقرأ شرحاً لها على أهله في بيته فإنها مذكرة نافعة . فأسأل الله عز وجل أن ينفعنا بهذه الذكرى، وأن يجعلها دافعة لنا لأن نصصح نياتنا وأعمالنا وأقوالنا، وأن نتنبه إلى أنفسنا، والله أعلم .

لعلنا نجيب عن شيء من الأسئلة.

السؤال :

يقول السائل: ما حكم ممارسة مهنة سائق الشاحنات **(تنقل البضائع)** مع وجود التأمين التجاري الإجباري على البضائع المنقولة؟

الشيخ سليمان الرحيلي: لا ينبغي للإنسان أن يكثر البحث حتى يضيق على نفسه . سائق الحافلة **(أو الشاحنة)** ليس مؤمناً ولا سبباً للتأمين، ومادام أنه ليس مؤمناً ولا سبباً للتأمين فلا يضره أن يحمل بضاعة مؤمناً عليها؛ فلا حرج عليك يا أخي أن تنقل البضائع وإن كان التجار يؤمنون على بضائعهم تأميناً تجارياً أفتى العلماء بحرمة؛ لأنه لا تعلق لك بهذا التأمين لست مؤمناً ولا سبباً في التأمين .

ولو فرضنا أن الدولة تلزمك بالتأمين على حافلتك **(أو شاحنتك)**، فإن هذا أيضاً لا يضر؛ فقد أفتى العلماء أن التأمين الإلزامي الذي تلزم به الدولة بحيث لا يستطيع الإنسان أن يحقق مصلحته إلا بفعله إلزاماً يجوز للإنسان، غير أنه لا يتوسع؛ يعني إذا كان التأمين الملزم به هو التأمين ضد الغير على السيارات مثلاً فلا يمكن ترخيص مركبة إلا إذا كان مؤمناً عليها ضد الغير، فلا يؤمن تأميناً شاملاً لأن هذا حرام، وإنما يؤمن المقدار الذي ألزم به.

السؤال :

أحسن الله إليكم؛ يقول السائل: كيف يضبط الطالب المبتدئ في الجامعة الإسلامية كتاب **(بداية المجتهد ونهاية المقتصد)**؟

الشيخ سليمان الرحيلي: كتاب **(بداية المجتهد ونهاية المقتصد)** لابن رشد

الحفيد فريد في بابه؛ حيث يعتني ببيان مواضع الاتفاق والاختلاف وبيان الأقوال وبيان أصول الاختلاف وأسباب الاختلاف، وهو يذكر أقوال المذاهب كثيرًا. إلا أنه في الحقيقة خطوة متقدمة في التفقه؛ فينبغي لطالب العلم أن يضبط الفقه قبل أن يخوض غمار هذا الكتاب.

والجامعة الإسلامية كانت مبنية قديماً على التدرج: من المتوسط إلى الثانوي إلى **(بداية المجتهد)**. فكنا نقرأ في المتوسط **(عمدة الفقه)**، ثم في الثانوي **(العدة شرح العدة)**، ثم نتقل إلى كلية الشريعة فنقرأ في **(بداية المجتهد)**، فكنا نهياً لبداية المجتهد في المرحلة المتوسطة والثانوية. والله الآن حصل عندي شك هل قرأنا زاد المستقنع في المتوسط أو العدة؟ أما في الثانوي قرأنا **(العدة شرح العدة)**، فكنا نهياً لبداية المجتهد.

وبعض إخواننا الآن يأتون إلى الكلية مباشرة ولم يهيأوا لهذا الكتاب، فيصدمون صدمة به ويصعب عليهم ضبطه. ولذلك أنا أقول: ينبغي لمن يدرس في كلية الشريعة أن يعتني بضبط الفقه ولو بجهد خارجي؛ فيأخذ متناً كـ **(دليل الطالب)**، أو **(زاد المستقنع)**، أو **(عمدة الفقه)** ويقرأه ويقرأ شرحاً عليه، فهذا مفتاح الدخول إلى **(بداية المجتهد)**.

ثم ينبغي لطالب العلم أن يعرف المقصود من الكتاب حتى يفهم الكتاب. وقد كان المتقدمون من أهل العلم يرون أنه لا ينبغي لطالب العلم أن يقرأ كتاباً

حتى يعرف المبادئ السابقة له في الفن وفي الكتاب نفسه حتى يستطيع أن يضبط الكتاب؛ أما أن يقرأ وهو لا يدري ما المقصود من الكتاب، وما موضوع الكتاب، وما مسائل الكتاب، وما فوائد الكتاب، فإنه قد ينتهي من الكتاب كما ابتداءً؛ لا يحصل زيادة علم ولا ضبط . فمن أراد الضبط والإتقان فعليه بالسير الحسن في العلم، وعليه بشيخ يعلمه ويؤدبه؛ لا تكفي الكتب لا بد من شيخ متقن يعلمه ويؤدبه. باقي شيء ولا انتهيت؟ سؤال؟

السؤال:

يقول: أنا صاحب شركة للحج من خارج المملكة، أصطحب معي في رحلة مرشدين وأدفع لهم رواتب، وأشترط عليهم ألا يحجوا حج بدل إلا عن قريب أو لوجه الله، فهل اشتراطي مخالف للشرع؟

الشيخ سليمان الرحيلي: ليس مخالفاً للشرع، لك أن تشترط عليهم ذلك وأنت تقصد هنا الإحسان، لكنني أقول لك: زدهم ثالثاً وهو أن يحج حج البدل إذا كان مسموحاً نظاماً له بذلك بمقابل، بشرط أن يعلم الله من نيته أنه يريد الحج والإحسان، فيأخذ من أجل أن يستعين بذلك على الحج وتحقيق مقصوده وما زاد يأخذه إن شاء الله؛ فإن هذا من المأذون فيه شرعاً أنهم يعني يحج عن قريب له أو يحج عن بعيد بلا مقابل، أو يحج بمقابل سواء قريب أو بعيد وهو يقصد الإحسان والحج لا يقصد التجارة بالحج؛ أنا أقول اجعلها ثلاثة فهذا خير وأفضل. أسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

وإن شاء الله في يوم الأربعاء نستأنف شرحنا لكتاب **(صحيح الترغيب والترهيب)**، وفي يوم الخميس والجمعة والسبت بعد العصر نستأنف شرحنا لكتاب **(دليل الطالب)** وسننتهي إن شاء الله عز وجل، وفي فجر السبت إن شاء الله سنشرح **(كتاب التوحيد)** لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله عز وجل -.
أسأل الله أن ييسر وأن يتقبل، والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا وسلم .

